العطــف علــى المعنــى أو علــى التوهّم

د.ساسي محمد مانيطة
قسـم اللغـة العربيـة – كليـة الآداب
جامعة السابع من أبريل

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

تمهيـد:

العطف مصدر الفعل عطف على وزن نصر، ومن معانيه في اللغة: الميلُ والثني والرد، قال ابن دريد في جمهرة اللغة[1]: "عطفت الشيء أعطفه عطفا إذا ثنيته ورددته"، وجاء في المحكم لابن سيده[2]: "عطف الشيء يعطفه عطفا وعطُوفا فانعطف، وعطفته فتعطف: حناه وأماله"، وفي القاموس المحيط للفيروزبادي[3]: "عطف يعطف: مال"، وفي عمدة الحفاظ للسمين الحلبي[4]: "العطف: ثني الشيء ورد أحد طرفيه على الآخر، كعطف الوسادة والغصن والحبل، ومنه سمي المشي المتثني عطفا، وقد يكنى به عن الشفقة والميل إذا تعدى بعلى نحو: عطفت عليه"، وفي قوله -تعالى- (ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيضِلَ عَن سَبِيل اللهِ) [الحج9] كناية عن الكبر بلَوي الجيد وتصعير الخد.

والعطف عند النحويين قسمان:

1- عطف بيان وهو "التابع المشبه للصفة في توضيح متبوعه إن كان معرفة وتخصيصه إن كان نكرة"[5] نحو: فاطمة جاء حسين أخوها، فأخوها عطف بيان على حسين، وقد وضحه، وفي قوله -تعالى-(أَو كَفارَةٌ طَعَام مَسَاكِينَ) [المائدة 95] على قراءة التنوين[6] يعرب قوله (طَعَام) بدلا من قوله (كَفارَةٌ) وهو بيان تخصيص كما هو واضح.

2- عطف النسق، ويطلق عليه البصريون شركة[7]، وهو "تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف"[8] مثل: حضر المعلم والطالب، فكلمة الطالب معطوفة على المعلم بواسطة حرف الواو، وقد أطلقوا على هذا النوع من الأساليب: عطف النسق حيث إن الكلام فيه يمضي على نسق أي نظام واحد، فكأنهم أخذوه من قولهم: كلام نسق أي: على نظام واحد، وقصدهم بالنظام الواحد: اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب، إذ هو المقصود في هذا الباب، ويشترطون لصحته أن يصلح المعطوف وما هو بمعناه لتسلط العامل عليه، ففي قولنا مثلا: اشتريت قلما وكتابا، يكون المعنى: اشتريت قلما واشتريت كتابا، أما في قولنا: أحسن خالد وأنت يتسلط العامل على ما هو بمعنى الضمير (أنت) فيكون المعنى: أحسن خالد وأحسنت وصور عطف النسق تأتي على النحو الآتي:

عطف المفردات وفيـه:

أ- **عطف الاسم على الاسم وصوره**:

1- عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر مثل: درست القرآن والحديث.

2- عطف المضمر على المضمر مثل: أنا وهو صديقان.

3- عطف الظاهر على المضمر مثل: هو وسالم صديقان.

4- عطف المضمر على الاسم الظاهر مثل: خالد وأنت صديقان.

5- عطف النكرة على النكرة مثل: تدارس طالب وطالبة باب العطف.

6- عطف المعرفة على النكرة مثل: أقبل طالب ومحمد معه.

7- عطف النكرة على المعرفة مثل: أقبل محمد وطالب معه.

copy from bulletin.7april.edu.ly

ب- عطف الفعل على الفعل:

يجوز عطف الفعل على الفعل بشرط اتحادهما في الزمن، اتحدا في النوع أو تخالفا وصور ذلك على النحو الآتي:

1- اتحاد الفعلين في النوع والزمن مثل قوله -تعالى- (وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَقُوا يُؤْتِكُمْ أُجورَكُمْ) [محمد36].

2- اختلاف الفعلين في النوع واتحادهما في الزمان وله صورتان:

الأولى: عطف الفعل الماضي لفظا على المضارع لفظا مثل قوله -تعالى-: (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَورَدَهُم النارَ)[هود98]، فقد صح عطف الفعل "أورد" ولفظه ماض على "يقدم" ولفظه مضارع، فهما مختلفان نوعا، ولكن صح العطف لدلالتهما على الزمان المستقبل.

الثانية: عطف الفعل المضارع لفظا على الماضي لفظا مثل قوله - تعالى- (تَبَارَكَ الذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيراً من ذَلِكَ جَناتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الْأَنْهَار وَيَجعَل لكَ قُصوراً) [الفرقان10]، فقد صح عطف الفعل (يجعل) وهو مضارع لفظا على(جعل) وهو ماضي لفظا، فهما مختلفان نوعا، ولكن صح العطف لدلالتهما على الزمن الماضي.

جـ- ومن عطف المفردات: عطف الفعل على الاسم المشتق مثل: خالد لعيب ويتمتع بمهارة عالية، ومحمد متفوق ويستطيع حل كل معضلة.

ففي المثال الأول عطف الفعل يتمتع على صيغة المبالغة لعيب، وفي المثال الثاني عطف الفعل يستطيع على اسم الفاعل متفوق، وقس على ذلك.

-عطف الجمل وفيه:-

1- عطف الجملة الاسمية على نظيرتها مثل قولنا: الفرص ثمينة وحسن استغلالها من الكياسة.

copy from bulletin.apriu.edu.ly

2- عطف الجملة الفعلية على نظيرتها مثل قوله - تعالى- (إِن الذِينَ قَالُوا رَبنَا الله ثُم استَقَاموا تَتَنَزلُ عَلَيهم الْمَلَائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلَا تَحزَنُوا وَأَبشِروا بِالْجَنةِ التِي كُنتُم تُوعَدونَ) [فصلت 30].

3- عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية بشرط اتفاقهما خبرا أو إنشاء مثل قولنا: أعد درسي، ومذكراته تفيدني، وقولنا: الأدب مرآة الأمة وأقدر أهله، وتفصيل ذلك موجود في كتب النحو.

- **ومن تقسيمات عطف النسق:**

1- عطف اللفظ على نظيره، وأمثلته تقدمت.

2- عطف اللفظ على المحل أو الموضع بشرط إمكان توجه العامل إلى المعطوف وأصالة الموضع مع وجود المجوز مثل: ليس علي بمتكبر ولا جبانا بالنصب عطفا على موضع بمتكبر إذ إن موضعه نصب لأنه خبر ليس.

3- عطف اللفظ على **المعنى**، ويسمى أيضا العطف على **التوهم**، وهو موضوع هذا البحث وسيتم تناوله من حيث:

1- حقيقة العطف على المعنى أو التوهم.

2– صور العطف على المعنى أو التوهم.

3- الفرق بين العطف على المحل والعطف على المعنى.

4- موقف بعض الباحثين المحدثين من أسلوب العطف على المعنى.

5- الاستنتـ ـاج.

6- خلاصة البحث.

حقيقة العطف على المعنى أو على التوهم:

تقدم تعريف العطف لغة واصطلاحا، أما التوهم فهو مصدر الفعل توهم ومعناه: تمثل الشيء وتخيله، كان في الوجود أو لم يكن، ففي بعض

copy from bulletin.zaprilu.edu.ly

أساليب العطف يتوهم المتكلم ويتخيل وجود معطوف عليه مفهوم من السياق، فيعرب المعطوف وفق إعراب ذلك المعطوف عليه المتخيل وقد يوظف التضمين وهو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطى حكمه، كتضمين الفعل المتعدي بحرف الجر معنى فعل يتعدى بنفسه فيأخذ حكمه كقوله – تعالى- [وَلاَ تَعزِمواْ عقْدَةَ النكاح حَتىَ يَبلُغَ الْكِتَاب َأجَلَه] [البقرة 235]حيث ضمن الفعل (تعزموا) الذي يتعدى في الأصل بحرف الجر "على"معنى "تنووا" الذي يتعدى بنفسه فأعطى حكمه من حيث التعدي[8] قلت: قد يوظف التضمين لصحة مجيء العطف على المعنى، ففي قول جرير مثلاً:

جئنـي بمثـل بنـي بـدر لقومهم   أو مثلَ أسـرة منظـور بـن سيّار

نجد قوله "مثل" منصوبا بعد أداة العطف "أو"، فلو كان معطوفا على "مثل" الأولى لجاء مجرورا، لذلك خُرج على توهم تضمين الفعل "جئني" في أول البيت معنى هات فعطفوا عليه نظيره المقدر ونصبوا به "مثلَ" الثانية،فصار المعنى أو هات مثل...الخ

وسيأتي قريبا مثال آخر لذلك.

ومن العطف على المعنى من دون تضمين : قول الأحوص اليراعي :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة   ولا نـاعبٍ إلا ببيـن غرابهـا

ورد لفظ "ناعبٍ" مجرورا وهو معطوف على لفظ "مصلحين" المنصوب على أنه خبر ليس، فخرج على توهم دخول حرف الجر الزائد "ب" في خبر ليس، فعطف عليه "ناعب" بالجر، وإنما توهموا ذلك لكثرة دخول الباء في خبر ليس.

هذا وقد اشترطوا لجواز العطف على المعنى صحة دخول العامل المتوهم، كالباء في خبر ليس وما العاملة عملها[9]، ونظرا إلى ما في هذا النوع من العطف من تخيل وتوهم فقد أطلقوا على ما جاء منه في القرآن الكريم

copy from bulletin.7april.edu.ly

العطف على المعنى تأدبا وصونا لكتاب الله من التوهم والتخيل، يقول ابن هشام في المغني[10] عند تخريج وجه الجزم في قوله – تعالى- (فَأَصدقَ وَأَكُن منَ الصالِحِينَ) [المنافقون 10] "فقيل عطف على ما قبله على تقدير إسقاط الفاء وجزم "أصدق"، ويسمى العطف على المعنى، ويقال له في غير القرآن العطف على التوهم"، والعطف على المعنى هو التعبير الذي استخدمه سيبويه، ففي قول كعب بن جعيل التغلبي:

أعني بخوار العنـان تخالـه إذا راح يردي بالمدجـج أحردا
وأبيضَ مصقول السطام مهندا وذا حلق من نسج داوود مسردا

حيث ورد لفظ "أبيض" منصوبا وهو معطوف على قوله: "بخوار" المجرور، يقول سيبويه[11]: "حمله على المعنى، كأنه قال: وأعطني أبيض مصقول السطام"، فقد ضمن الفعل "أعني" معنى أعط الذي يتعدى بنفسه، وتوهم أنه نصب "بخوار" على أنه مفعول ثان له ثم عطف عليه قوله "وأبيض".

صور العطف على المعنى أو على التوهم:

يأتي العطف على المعنى في أنواع الإعراب الأربعة (النصب والخفض والرفع والجزم)، وأكثر ما يكون في حالتي النصب والجر، أما النصب فلأن أغلب ما عطف على التوهم منه يكون بعد فاء السببية الواقعة جوابا للنهي أو الاستفهام وما في حكمهما، وأما الجر فإن أغلب ما وقع منه يكون عطفا على توهم الباء الجارة المزيدة في خبري ليس وما العاملة عملها، والأمثلة الآتية تصور ذلك:

1- **العطف على المعنى في حالة النصب:**

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب قوله -تعالى-: (من ذَا الَذِي يقْرِض اللّهَ قَرضاً حَسَناً فَيضَاعِفَه لَه) [البقرة 245 والحديد11][12] بنصب الفعل "يضاعف" وقرأ الباقون برفعه ووجهت قراءة النصب على النحو الآتي:

copy from bulletin7.apriu.edu.ly

ينصب الفعل المضارع "يضاعف" بأن مضمرة بعد الفاء، و"أن" وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل "يقرض"، فهو من قبيل العطف على المعنى، والمعنى كما قدره مكي بن أبي طالب[13] "ومن يكن منه قرض يتبعه إضعاف "وقدره العكبري في التبيان[14] "من ذا الذي يكون منه قرض فمضاعفة من الله"، وإضمار أن بعد الفاء إنما حدث ليتأتى مجيء المصدر . ولسائل أن يسأل: لماذا لا يكون قوله: "فيضاعفه" جوابا لفظيا على الاستفهام في أول الآية؟، والجواب: أن الاستفهام لم يكن عن القرض، وإنما كان عن صاحب القرض في اللفظ، فلو قلت مثلا:أزيد يقرضني فأشكره ؟ لم يجز النصب على جواب الاستفهام لأن الاستفهام لم يكن على القرض إنما وقع على زيد، ولو قلت أيقرضني زيد فأشكره؟ جاز النصب على جواب الاستفهام لأن الاستفهام وقع على القرض، وقد جاء النصب في الآية حملا على المعنى لأن الاستفهام وإن كان عن المقرض فهو عن الإقراض في المعنى، فكأن المعنى : أيقرض اللهَ أحد فيضاعفه[15].

وفي قوله -تعالى- (فَعَسَى اللّه أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَو أَمرٍ من عِندِهِ فَيصبِحواْ عَلَى مَا أَسَرواْ فِي أَنْفُسِهم نَادِمِين وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمواْ بِاللّهِ ...الخ).

[المائدة 52-53] اختلفت القراءات:

1- قرأ نافع وابن كثير وابن عامر:(يقول الذين آمنوا) من دون واو العطف.

2- وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (ويقول) بإثبات واو العطف وبرفع الفعل.

3- وقرأ أبو عمرو بن العلاء (ويقولَ) بإثبات واو العطف ونصب الفعل[16].

وخُرجت هذه القراءة على النحو الآتي:

عطف الفعل (ويقولَ) المنصوب على معنى قوله – تعالى- (فَعَسَى اللّه أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ...) إذ المعنى: فعسى الله أن يأتي بالفتح وأن يقول...،

copy from bulletin.zu.edu.ly

ولهذا التأويل دلالته فهو يحدد زمن قول المؤمنين (أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمواْ بِاللّهِ...)، وهو عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم[17].

وإنما لم يصح عطف الفعل"يقول" المنصوب في الآية على "يأتي" وهو منصوب بأن عطفا لفظيا، لأننا إذا قلنا: عسى الله أن يأتي وأن يقول فإن ذلك لا يؤدي المعنى المراد، كما لا يصح أن يقال: عسى زيد أن يقوم ويأتي عمرو إذ لا يجوز : عسى زيد أن يأتي عمرو، فإذا ما قدمت "أن" بعد عسى بحيث تصير الجملة عسى أن يقوم زيد ويأتي عمرو فهو حسن[18] .

وقال العكبري في التبيان[19] "لا يجوز أن يكون معطوفا على لفظ "أن يأتي" لأن أن يأتي خبر عسى، والمعطوف عليه في حكمه، فيفتقر إلى ضمير يرجع إلى اسم عسى، ولا ضمير في قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ)، فيصير كقولك: عسى الله أن يقول الذين آمنوا".

2- العطف على المعنى أو على التوهم في حالة الجر:

أشرت فيما سبق إلى أن العطف على المعنى فى حالة الجر أكثر ما يكون في المعطوف على خبر ليس وما المشبهة بها، وبهذه الملحوظة يمكن اعتباره مقيسا، ومن أمثلته :

- يقول المرار بن فقعس:

أجدك لن ترى بثعيلبـات ... ولا بيدان ناجيـة ذمـولا

ولا متداركٍ والشمس طفل ... ببعض نواشغ الوادي حمولا

فقد ورد قوله : "متداركٍ" مخفوضا، وهو معطوف على معنى قوله "لن ترى بثعيلبات قال الفراء[20] " فقال: متداركٍ، فدل على أنه أراد ما أنت براءٍ بثعيلبات كذا ولا متداركٍ "فجعل النفي بلن يفيد النفي بما العاملة عمل ليس، وتوهم لها خبرا مقترنا بالباء الجارة الزائدة، ثم عطف عليه قوله "متدارك"،

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

وحروف النفي يشبه بعضها بعضا لاشتراك جميعها في الدلالة عليه، ومن ثم يحل بعضها محل بعض[21].

* ومثل ذلك قول زهير:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا

حيث ورد قوله "سابقٍ" مخفوضا وهو معطوف على قوله "مدرك" المنصوب، ووجه خفضه توهم دخول الباء الجارة الزائدة في خبر ليس، والمعنى: لست بمدرك ولا بسابق، قال سيبويه[22] "لما كان الأول تستعمل فيه الباء، ولا تغير المعنى، وكانت مما يلزم الأول نووها في الحرف الآخر حتى كأنهم قد تكلموا بها في الأول".

3- العطف على المعنى أو على التوهم في حالة الرفع:

اختلف القراء في قراءة قوله -تعالى- (وَكَتَبنَا عَلَيهِم فِيهَا أَن النفْسَ بِالنفْسِ وَالْعَينَ بِالْعَين وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُن وَالسن بِالسن وَالْجروحَ قِصَاص فَمَن تَصَدقَ بِهِ فَهوَ كَفارَةٌ له وَمَن لم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللّه فَأُولَـئِكَ هم الظالِمونَ) [المائدة 45] فقرأ غير الكسائي بنصب المعاطيف "والعينَ ... والأنفَ..والسنَ الخ، وقرأ الكسائي برفعها[23] وفي تخريج هذا الوجه من القراءات وجوه نقلت عن أبي علي الفارسي منها : عطف قوله: "والعين" وما بعدها بالرفع على معنى قوله –تعالى-: (أَن النفْسَ بِالنفْسِ) بحيث يضمن الفعل "كتبنا" معنى "قلنا" فيصير معنى الجملة بعده ابتدائية في محل رفع،فيصح أن يعطف عليها بالرفع، قال مكي بن أبي طالب [24].

"ومن رفع" والعين .. والأنفُ .. والسن .." عطفه على المعنى، لأن معنى "كتبنا عليهم": قلنا لهم : النفس بالنفس فرفع على الابتداء"، وعلى هذا يكون عطف جملة على جملة، وهو من باب العطف على المعنى.

copy from bulletin.zaprilu.edu.ly

ومن العطف على المعنى في حالة الرفع: ما مثل به سيبويه في قوله[25]:" واعلم أن ناسا من العرب يغلطون، فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان، وذاك أن معناه الابتداء "قال ابن هشام في المغني[26]" ومراده بالغلط ما عبر عنه غيره بالتوهم وذاك ظاهر من كلامه".

وتوضيح العطف على التوهم في مثال سيبويه "إنك وزيد ذاهبان" هو توهم وجود ضمير مرفوع يعرب مبتدأ، تقديره أنت ثم يعطف عليه زيد، وخبره ذاهبان، والجملة خبر"إن".

4- العطف على المعنى أو على التوهم في حالة الجزم:

في قوله –تعالى- (إنه مَن يَتق وَيصبِر فَإن اللّهَ لاَ يضِيع أَجرَ الْمحسِنينَ) [يوسف90] رواية عن قنبل[27] بإثبات الياء في الفعل "يتقي"، واعتبار "من" موصولة وعطف الفعل "يصبر"مجزوما على معنى الكلام"لأن "مَن" وإن كانت بمعنى الذي ففيها معنى الشرط ،لذلك تدخل الفاء في خبرها في أكثر المواضع، فلما كانت فيها معنى الشرط عطف "ويصبر" على ذلك المعنى فجزمه"[28].

وفي قوله –تعالى-: (فَأصدقَ وَأَكُن منَ الصالِحِينَ) [المنافقون 10] بجزم الفعل "أكن" وهي قراءة جمهور القراء، وخرج الخليل بن أحمد ذلك فجعله من قبيل العطف على المعنى، وخرجه غيره على العطف على الموضع[29]، قال سيبويه[30] "وسألت الخليل عن قوله -عز وجل- (فَأصدقَ وَأَكُن منَ الصالِحِينَ)، فقال:هذا كقول زهير

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا

فإنما جروا هذا [سابق] لأن الأول[مدرك] قد يدخله الباء، فجاءوا بالثاني وكأنهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا لما كان الفعل قبله قد يكون جزما ولا فاء فيه، تكلموا بالثاني وكأنهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا"،

copy from bulletin.zaprilu.edu.ly

ويعني الخليل أن الفعل "أكن" جزم بالعطف على معنى "فأصدق"، إذ أن معنى "لولا أخرتني فأصدق، ومعنى : إن أخرتني أصدق واحد – والله أعلم-.

تلك أمثلة متنوعة لأسلوب العطف على المعنى أو التوهم كما يسميه بعضهم، وهو أسلوب يبدو لأول وهلة أنه متكاف، ولكنه بالتأمل يتضح أن لجوء النحويين إليه كان بسبب دلالته على المعنى المراد من الكلام، إذ أن المعنى في بعض الأساليب يحتم هذا الوجه من الإعراب كما سيتضح لاحقا.

الفرق بين العطف على الموضع والعطف على المعنى:

مما تقدم من الأمثلة وضح أن العطف على التوهم هو غير العطف على الموضع، ففي أسلوب العطف على التوهم لا وجود للعامل في اللفظ بل هو متوهم، وفي العطف على الموضع العامل موجود مذكور في اللفظ إن كان لفظيا، أو غير مذكور ولكنه معلوم إن كان معنويا، قال أبو حيان في البحر المحيط[31] :" إن العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثره، والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود"، وذلك هو الفرق الجوهري بين الأسلوبين، ففي قوله -تعالى- : (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) [التوبة3]، قيل إن قوله: "ورسولُه"مرتفع بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير: ورسوله بريء من المشركين، قال مكي بن أبي طالب[32]: "وقد أجاز قوم رفعه على العطف على موضع اسم الله قبل دخول أن " فالعامل على هذا التوجيه هو الابتداء وهو موجود معلوم، إذ لفظ الجلالة في الآية في موضع رفع بالابتداء قبل دخول أن عليه لذلك جاز عطف قوله "ورسولُه" بالرفع عليه .

ومن أمثلة سيبويه: "ما زيد على قومنا ولا عندنا" فجعل: "ولا عندنا" في محل نصب عطفا على محل قوله : " على قومنا" إذ هو خبر ما النافية العاملة عمل ليس قال سيبويه:[33] "ولو قلت : ما زيد على قومنا ولا عندنا كان النصب ليس غير لأنه لا يجوز حمله على "على"، ألا ترى أنك لو قلت: ولا

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

على عندنا لم يكن، لأن عندنا لا تستعمل إلا ظرفا، وإنما أردت أن تخبر أنه ليس عندكم"، فعامل النصب "ما" مذكور ملفوظ في الجملة، بخلاف أسلوب العطف على التوهم حيث لا وجود للعامل بينما أثره على المعطوف موجود كما رأيت في الأمثلة السابقة.

وثمة فرق آخر بين العطف على المعنى والعطف على الموضع من حيث القياس والسماع، أما العطف على الموضع فلم أعثر على من أنكر قياسه من النحاة، وأما العطف على المعنى أو التوهم فمن النحاة من جعله مقيسا، ومنهم من جعله مقصورا على السماع، فالرضي في شرحه على الكافية يقول عنه[34]: "ليس بمطرد ولا يجوز في سعة الكلام"، وإذا قلت : ما خالد قائما ولا قاعدٍ بخفض المعطوف على توهم دخول الباء في خبر ما النافية يقول أبو حيان[35]: "أما الخفض فيه على التوهم فمسموع، لكن عامة النحويين لا يجيزونه، وأجازه الكسائي والفراء قياسا". وفى قول زهير:

بدا لي أني لست مدركَ ما مضى ... ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا

بخفض "سابق" لأنه معطوف على "مدرك" على توهم دخول الباء في خبر ليس يقول أبو حيان[36]: "هذا عند أصحابنا من باب العطف على التوهم، والعطف على التوهم لا ينقاس"، وجعله في موضع آخر من الضرائر[37].

وفي توجيه قراءة الكسائي قوله –تعالى-: (وَكَتَبْنَا عَلَيهِم فِيهَا أَن النفْسَ بِالنفْسِ وَالْعَينَ بِالْعَين وَالأنفَ بِالأنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُن وَالسن بِالسن وَالْجروحَ قِصَاص) التي سبق ذكرها، يقول الألوسي[38]: "وجعله ابن عطية على هذا القول من العطف على التوهم وهو غير مقيس" وقد يكون ذلك سببا من الأسباب التي دعت بعض الباحثين المحدثين في ميدان التأليف النحوي لا يعيرون أسلوب العطف على التوهم اهتماما، ومن الباحثين من انتقده وجعله من قبيل الفلسفة النحوية المبنية على تأثر النحاة بنظرية العامل النحوي، فإذا تصفحنا

copy from bulletin.7april.edu.ly

المحاولات التي تهدف إلى تجديد النحو مثل كتاب "إحياء النحو" لإبراهيم مصطفى الصادر سنة 1937هـ نجده ينقل عطف النسق بمختلف أساليبه من باب التوابع إلى باب الإسناد، ويجعل حروفه لمجرد الإشراك في الإعراب، فإذا قلت مثلا : جاء زيد وعمرو فقد أسندت المجيء إلى كليهما، فهما مرفوعان بالإسناد، والواو علامة إشراك ليس غير[39] ولم يتعرض مطلقا للتفاصيل، ولا لمعاني أدوات العطف المختلفة.

وفي محاولة الدكتور شوقي ضيف" تجديد النحو" التي استقى أفكارها من كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي المتوفىسنة592هـ يبقى على مكان أسلوب العطف من التوابع، ويجعل المعطوف والمعطوف عليه كالكلمة الواحدة، وإعرابهما من باب الإسناد أيضا، ففي قولنا : محمد وعلي حاضران، أو حضر محمد وعلي يصير المعطوف والمعطوف عليه كالكلمة الواحدة[40].

وإذا اعتبرنا جل المحاولات في تجديد النحو ملخصات تهدف إلى عرض أهم القواعد النحوية في صورة مبسطة بعيدة عن الإيغال والتعمق في الدرس النحوي، فلا ينبغي أن ينكر أسلوب من الأساليب العربية التي اجتهد النحاة في تخريجها، ولم يجدوا بدا من اعتبارها من باب العطف على المعنى أو التوهم، وبدلا من أن ننصف النحاة الأُوَل فنشكرهم على جهودهم نصفهم بالوهم والتكلف كما فعل أحد الباحثين المحدثين عندما جعل أسلوب العطف على التوهم من أساليب اللغة التي خضعت لتصورات النحاة وأوهامهم، وهومن الاستعمالات النادرة والشاذة التي تكلف لها النحاة المستحيل حتى سوغوا لنا مجيئها على هذه الصورة أو تلك، وأن أمثال تلك الاستعمالات يجوز الحكم عليها بالغلط واللحن، وإخراجها من أساليب اللغة العربية لا يضيرها في شيء[41].

copy from bulletin.zaprlu.edu.ly

ولم أجد مبررا لاعتبار أسلوب العطف على المعنى أو التوهم لحنا وغلطا، كيف ذلك وقد اعترف به جهابذة اللغة والنحو، وجعله جمع منهم مقيسا، وقد أنكر ابن مالك على سيبويه تعبيره غير المقصود في قوله المتقدم " واعلم أن ناسا من العرب يغلطون ...الخ"، قال ابن مالك[42] :" وهذا غير مرضي منه -رحمه الله- فإن المطبوع على العربية كزهير ... لو جاز غلطه في هذا لم يوثق بشيء من كلامه، بل يجب أن يعتقد الصواب في كل ما نطقت به العرب المأمون حدوث لحنهم بتغير الطباع، وسيبويه موافق على هذا ".

الاستنتـاج:

من خلال الاطلاع على ما تيسر من كتب النحو وكتب إعراب القرآن الكريم يمكن استنتاج الآتي:

1- اعتبار العطف على المعنى أو التوهم مقيسا فى بعض صوره، فالمتأمل في كتاب سيبويه يجده وأستاذه الخليل بن أحمد يقيسان قوله –تعالى-: (فَأَصدقَ وَأَكُن منَ الصالِحِينَ) على قول زهير المتقدم، وأن سيبويه يمثل من عنده للعطف على التوهم بقوله : إنك وزيد ذاهبان، وأن أبا جعفر النحاس نسب إلى سيبويه قياس العطف على التوهم... ونسب أبو حيان قياسه إلى الكسائي والفراء[43]، وجعله ابن مالك في شرح التسهيل من الممكن الجائزإذ يقول[44]: "لما كان دخول الباء على خبر ليس وخبر ما جاز للمتكلم أن يجر المعطوف بعدهما على الخبر المنصوب"، ويقول في موضع آخر[45]: "وأما الطلب فإذا عطف على جوابه المقرون بالفاء مضارع كقولك: زرني فأزورك وأحسن عشرتك، فلك في المعطوف النصب على التشريك في عمل أن المضمرة، والرفع على الاستئناف، والجزم على توهم حذف الفاء"، وجعل ابن هشام في المغني[46] العطف على التوهم القسم الثالث من أقسام العطف، وقال السيوطي في الهمع[47]: "يجوز العطف على

copy from bulletin.7april.edu.ly

التوهم نحو : ليس زيد قائما ولا قاعدٍ بالجر على توهم دخول الباء في الخبر، وشرطه صحة دخول العامل المتوهم، وشرط حسنه كثرته"، ودافع الزركشي في كتابه البرهان[48] على النحويين القائلين بالعطف على التوهم، فقال :" واعلم أن بعضهم قد شنع القول بهذا في القرآن على النحويين، وقال : كيف يجوز التوهم في القرآن؟، وهذا جهل منه بمرادهم، فإنه ليس المراد بالتوهم الغلط، بل تنزيل الموجود منه منزلة المعدوم".

فإذا أضفنا إلى ذلك كله ما ورد من نصوص تشتمل على أسلوب العطف على التوهم وبخاصة العطف على توهم دخول الباء في الخبر الذي يكثر في خبري ليس وما العاملة عملها، ويقل في خبر كان كقول الشاعر:

وما كنت ذا نيربٍ فيهم ولا منمشٍ فيهم منمل[49]

فقد عطف قوله "منمشٍ" على خبركان "ذا نيرب"، وذلك على توهم دخول الباء في الخبر، وتوهم بعضهم الجر باللام فعطف عليه مجرورا، وعليه خُرِجَ قول الفرزدق

وما زرت ليلى أن تكون حبيبة إلي ولا دينٍ بها أنا طالبـه

فقد عطف قوله "ولا دينٍ" على قوله: "أن تكون" على توهم دخول اللام الجارة والتقدير: لأن تكون، ثم يؤول بمصدرمجرور باللام ويعطف عيه قوله : ولا دينٍ والمعنى : وما زرت ليلى لكونها حبيبة ولادينٍ بها ...[50]، وتوهم بعضهم الجر بالإضافة فعطف عليه، وأجاز في قول امريء القيس:

فظل طهاة اللحم ما بين منضجٍ صفيفَ شواء أو قديرٍمعجـل

أن يكون قوله: "قديرٍ" مجرورا معطوفاً على قوله "صفيف" على توهم كونه مجرورا بإضافته إلى "منضج"، والتقدير:ما بين منضجِ صفيفِ شواء أو قديرٍ..[51].

2- أضف إلى ذلك دلالة العطف على التوهم حيث إن النحاة يجمعون على أن لكل وجه من الإعراب معنى، وبعض الأساليب اللغوية لا يتضح معناها الدقيق إلا بإعراب العطف على المعنى أو على التوهم، وبعضها تختلف دلالته باختلاف نوع العطف، فمن الأول مثلا تخريج قوله - تعالى- (وَلَو يعَجلُ اللّه ِللناسِ الشر استِعجَالَهم ِبالْخَيرِ لَقُضِيَ ِإلَيهم َأجَلُهم فَنَذَر الذِينَ لاَ يَرجونَ ِلقَاءنَا ِفي طُغْيَاِنهِم يعمَهونَ) [يونس 11] حيث عطف قوله - سبحانه- (فَنَذَر) على المعنى المستفاد من قوله: (وَلَو يعَجلُ اللّه ِللناسِ الشر)، وهو نفي التعجيل، والمعنى -والله أعلم-: لا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم، ولكن نمهلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون[52] وخرج ابن عطية الآية فقال[53]: "حذف من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديرها: ولا يفعل ذلك ولكن يذر الذين لايرجون، فاقتضب القول، وتوصل إلى هذا المعنى بقوله: (فَنَذَر الذِينَ لاَ يَرجونَ ِلقَاءنَا)، فتأمل هذا التقدير تجده صحيحا"، فالعطف على المعنى في الآية الكريمة توقف عليه إدراك المعنى المراد من الآية ، إذ لا يصح عطف قوله "نذر" على قوله: "يعجل" لأن التعجيل داخل في الامتناع الذي أفادته "لو" وهو لم يقع، فلو عطف عليه "نذر" لشمله الامتناع، وهو قد وقع، لذلك قدر معنى مفهوما من السياق، وعطف عليه كما رأيت.

وفي قولنا: زرني فأزورك لا يصح عطف الفعل الثاني على الأول لاختلافهما خبرا وإنشاء، وكون الأول سببا للثاني، لذلك لا بد من اللجوء إلى العطف على التوهم "ولا يتحقق ذلك إلا بإضمار أن، وأن يقدر الأول بمصدر، فالتقدير: لتكن منك زيارة فزيارة مني"[54].

copy from bulletin.7apriu.edu.ly

وقد تختلف الدلالة باختلاف نوع العطف كما سبق في تخريج قولهم: لا تأكل السمك وتشربُ اللبن في حالة نصب الفعل "تشرب" أو رفعه[55]، وفي قوله -تعالى- (وَلاَ تَلْبِسواْ الْحَق بِالْبَاطِل وَتَكْتُمواْ الْحَق وَأَنتُم تَعلَمونَ) [البقرة 42]، جوز بعضهم أن يكون قوله: (تَكْتُمُوا) في محل جزم عطفا على قوله: (تَلْبِسواْ) المجزوم بلا الناهية، وهذا العطف يفيد النهي عن كل واحد من الفعلين (إلباس الحق بالباطل وكتمانه)، وجوز بعضهم أن يكون قوله: (تَكْتُموا) في محل نصب بأن مضمرة فيصير عطف مصدر على مصدر مقدر من قوله: (وَلاَ تَلْبِسواْ) ومعنى ذلك كما قال ابن عطية[56] "ولا يكن لبسكم الحق بالباطل وكتمانكم الحق"، وعلى هذا التخريج يكون النهي منصبا على الجمع بين الفعلين -والله أعلم-[57].

3- ومن خلال ما تقدم من نصوص تضمنت العطف على المعنى أو التوهم، مؤكدة بأقوال جمع من أئمة النحو، وما بينته من حتمية اللجوء إلى العطف على المعنى في إعراب بعض الأساليب يمكن اعتبار أسلوب العطف على المعنى أو على التوهم مقيسا وبخاصة في حالتي النصب والجر، وألا يجعل من قبيل التمحل النحوي بل من قبيل التوسع اللغوي -والله أعلم بالصواب-.

copy from bulletin.7april.edu.ly

الهوامـــش:

1) جمهرة اللغة لابن دريد 104/3.
2) المحكم لابن سيدة 1 /345.
3) القاموس المحيط للفيروزبادي 181/2.
4) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي 1767/3.
5) أوضح المسالك لابن هشام 346/3.
6) قرأ نافع وابن عامر "أو كفارةُ طعام" بالإضافة، وقرأ الباقون بالتنوين، انظر: البحر المحيط 24/4.
7) انظر: همع الهوامع للسيوطي 185/3.
8) انظر: مغني اللبيب لابن هشام 762/2 وما بعدها.
9) أوضح المسالك لابن هشام 353/3.
10) انظر: مغني اللبيب لابن هشام 529/2.
11) 472/2.
12) الكتاب170/1.
13) انظر: المحرر الجيز لابن عطية 330/1، و260/5، والبحر المحيط 260/2.
14) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، ص110.
15) 194/1.
16) مشكل إعراب القرآن ص110، وانظر: البحر المحيط 260/2.
17) انظر: البحر المحيط 521/3.
18) انظر: المحرر الوجيز 206/2.
19) انظر: مشكل إعراب القرآن، ص209.
20) 444/1.
21) معاني القرآن للفراء 171/1، وانظر: الخصائص لابن جني 388/1 وقوله: ثعيلبات وبيدان: موضعان، ونواشغ الوادي : نواحيه.
22) انظر: الخصائص388/1.
23) الكتاب 29/3.

copy from bulletin.7april.edu.ly

24) انظر: المحرر الوجيز196/2 والبحر المحيط، 506/3.

25) مشكل إعراب القرآن، ص207.

26) الكتاب 155/2.

27) 531/2.

28) انظر: إتحاف فضلاء البشرللدمياطي267/1، وقنبل هو: محمد بن عبد الرحمن وهو الراوي الثاني لابن كثير، توفي سنة 291هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، 232/22.

29) مشكل إعراب القرآن ص371، وانظر: أوضح المسالك لابن هشام 80/1.

30) انظر: المحرر الوجيز 316/2، والبحر المحيط 271/8.

31) الكتاب 101/3.

32) 271/8.

33) مشكل إعراب القرآن، ص308.

34) الكتاب 68/1.

35) 191/2.

36) ارتشاف الضرب لأبي حيان ص1202.

37) المصدر السابق ص1757.

38) انظر: المصدر السابق.

39) روح المعاني للألوسي 146/6.

40) إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ص 115 وما بعدها.

41) تجديد النحو لشوقي ضيف ص127.

42) الأستاذ مراجع الطلحي في كتابه الجواز النحوي انظر: ص488-489.

43) شرح التسهيل لابن مالك 52/2.

44) انظر: ارتشاف الضرب ص 1202 .

45) شرح التسهيل لابن مالك 385/1.

46) المصدر السابق.

47) انظر: 529/2.

48) 230/3.

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

49) 112/4.
50) النيرب: النميمة والمنمش: المفسد، والمنمل: النمام.
51) انظر: مغني اللبيب 281/2.
52) المصدر السابق 512/2.
53) انظر: التبيان للعكبري 667/2.
54) المحرر الوجيز 108/3، وانظر: البحر المحيط 133/5.
55) اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري 38/2.
56) انظر: مغني اللبيب 530/2.
57) المحرر الوجيز135/1.
58) انظر: التبيان للعكبري58/1، والبحر المحيط 335/1.

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly